



مذكرات تحسين قذري 1986-1984 المرافق العسكري الأقدم للملك فيصل الأول

6



أخي أحمد يمرر الحركات العسكرية إلى مقر الشريف فيصل بن الحسين

تقديم

هذه هي مذكرات الاستاذ تحسين قذري (1894 - 1986) المرافق العسكري الاقدم للملك فيصل الاول منذ التحاقه في عمليات الثورة العربية الكبرى عام 1916. و مرافقته له في الحكومة الفيصلية في سوريا، وبقائه تحت ظله على امتداد عهد فيصل في العراق ووصوله الى رئاسة دائرة التشريعات في البلاط الملكي العراقي واستمرار وجوده مرافقاً وأميناً وسفيراً دبلوماسياً للعراق على عهد الملك غازي الاول 1933-1939م، وعهد الوصاية 1939-1953م، وعهد ابنه الملك فيصل الثاني 1953-1958م وبقي يعيش في سويسرا حتى رحيله في شهر آب / اغسطس عام 1986، وهو من اصل سوري، ولكنه تربى ودرس في العراق وشهد تاريخ العهد الملكي في العراق بطوله، فهو ذاكرة تاريخية لحياته الطويلة في القرن العشرين.

تقديم وتحقيق: أ.د. سيار الجميل

كندا



صورة نادرة يظهر فيها من اليمين تحسين قذري رئيس التشريعات الملكية و بجانبه عبدالهادي المتفكي وزير المعارف

فخري باشا قوة تسانده، ولكن جمال باشا السفاح رد عليه بالرفض، وأنه من غير الممكن أن يبرسل له أي قوة، ولذلك فقد اضطر لتعبئة قواته في المدينة وما يجاورها باستحكامات دفاعية وليست هجومية أمام قوات البدو، بقيادة الشريفين علي وعبد الله، ومن بعد الاستيلاء على العقبة، زحف الشريف فيصل بن الحسين إلى أبي اللسن، واستولى على مقر قيادة الجيش الثاني بواسطة قواته النظامية مع الهجانة، وقليلاً من البدو. وكان الإنكليز في حينها قد احتلوا العراق بقيادة الجنرال سود، وتمركزوا في بغداد والموصل، وكان في الهند ضباط عراقيين أسروا خلال حملة الإنكليز على العراق، من بينهم جعفر العسكري ونوري السعيد وجميل المدفسي وعلی جودت وإسماعيل نامق وناجي جودت وغيرهم، وطلبت القيادة الإنكليزية منهم الانضمام إلى ثورة الشريف حسين بن علي، ولبى منهم الكثير، وتجاهم الشريف فيصل بن الحسين لتشكيل أول جيش عربي للقوات التابعة للأميرين علي وعبد الله، وأخذت قوات الشريف فيصل تقطع طريق السكة الحديدية بين المدينة ومشرق، وفي حين أخذ الإنكليز بحشد قوة كبيرة لاحتلال فلسطين، ولم يكونوا يحلموا أن بالإمكان أن يستمروا بالزحف إلى تركيا من بعد مروره خلال سورية. وطلب

المكرمة بسهولة. الشريف علي حيدر والمهمة الصعبة، أراد طلعت وانور وجمال باشا أن يشاربوا الشريف حسين في الحجاز، فاجتمعوا بآب عمه من نوي زيد الشريف علي حيدر، ونصّبوه بإرادة ملكية، ليكون شريكاً لكلاً عوضاً عن الشريف حسين، وأعطيت الكثير من الدراهم الذهبية إلى الشريف علي حيدر، ليأتي إلى المدينة ويقوم بحركة مع العشائر ضد الشريف حسين، وطلبت حكومة الاتحاد والترقي منه التوجه فوراً إلى المدينة، والخوض بالمعركة مع البدو وبإشراف فخري باشا، والغريب بالأمر أن فخري باشا قد انتدبني أنا لكي أذهب إلى دمشق كمثل له، لإصطحاب الشريف علي حيدر، والمحافظة عليه في السفر من دمشق إلى المدينة بقطار خاص، وكان أيضاً باسم القوة الحصارية غالباً بك القائم مقام والذي أصبح فيما بعد مرافقاً للملك عبد الله في عمان.

الليلة، وكنت أتقرب مجيء أحداً لمرافقتي في الهرج، وعلمت فيما بعد أن الشريف فيصل لم يتمكن من إرسال أحد لإصطحابي قيادة الجيش الرابع إلى المدينة المنورة، وتعيينها بلوائين 31 و 32، وبطاريتي مدفعية جبلية، وبطاريتين صحراوية، وسرب طائرات، ونظراً لأهمية ثورة الشريف حسين على مجريات الحرب، وللمحافظة على قوات الحلفاء في مصر وقناة السويس، وفلسطين والبلاد العربية، جاء اللورد الأميرال الحسين، وكل رسول كان يكلف الكثير من النقود التي كانت تدفع بالعملية الذهبية، وكان أخي يكسب ما يكفي لتغطية هذه المصاريف من عيادته التي يديرها في دار الروم والدي، في محلة الكبري، وبيادية الحركات في أطراف المدينة

هو بنفسه بالحركة بدون هيئة الأركان، وأخذ معه الشعبة الأولى فقط، وهي الشعبة التي كنت تابعاً لها، وبدأ الهجوم ليلاً، ووصلنا مقر الشريف زيد بن الحسين، وكان مخيمه خال وخيمته كما هي، حيث كانت سمارو الشاي وبعض الحلاوة موجودة كما هي، وسررنا لتناول بعض الأطعمة، حيث أننا كنا نعيش على الباقصام الناشف وقليلاً من التمور...! استمر هجوماً ليلاً، وفي الصباح الباكر وصلنا المصيق الذي يشرف على سهل يوجد فيه قرى ووحدات هذه المخيمات، وكانت في وقتنا نحن، وفيها بعد كنت أنتدر المدينة ويبرر ماشي، وأجمع الشريف الخاضرين على موافقتي بالرائي، وتقريباً أجبرنا فخري باشا على اتخاذ قرار الرجوع، وقواته النظامية مع الهجانة، وقليلاً من البدو. وكان الإنكليز في حينها قد احتلوا العراق بقيادة الجنرال سود، وتمركزوا في بغداد والموصل، وكان في الهند ضباط عراقيين أسروا خلال حملة الإنكليز على العراق، من بينهم جعفر العسكري ونوري السعيد وجميل المدفسي وعلی جودت وإسماعيل نامق وناجي جودت وغيرهم، وطلبت القيادة الإنكليزية منهم الانضمام إلى ثورة الشريف حسين بن علي، ولبى منهم الكثير، وتجاهم الشريف فيصل بن الحسين لتشكيل أول جيش عربي للقوات التابعة للأميرين علي وعبد الله، وأخذت قوات الشريف فيصل تقطع طريق السكة الحديدية بين المدينة ومشرق، وفي حين أخذ الإنكليز بحشد قوة كبيرة لاحتلال فلسطين، ولم يكونوا يحلموا أن بالإمكان أن يستمروا بالزحف إلى تركيا من بعد مروره خلال سورية. وطلب

أحمد، وعلمته بجميع تفاصيل القوى في الحجاز، وعن فكرة الهجوم وغيرها، واعلمته وبعثني في الالتحاق بالثورة خوفاً من اقتضاح امرئ، وقتلي فوراً ربيعاً بالرصاص، ولكن طلبي رفض، وطلبت مني جمعياً القادة أن استمض في موقعي، وفي المجازفة المخيفة والخطرة على حياتي، وذلك في سبيل الثورة العربية، ولتحرير الشعب العربي، ولم يسعني إلا الانصياع متكلماً على الله، ومغامراً بحياتي في كل لحظة.

عندما انطلاقة أول رصاصات للثورة العربية الكبرى، وبيادية الحركات في أطراف المدينة بالعوالي، انسحب مقر الشريف فيصل إلى مصيق في نفس، وأتمنى أن يقودني أحد للوصول إلى الشريف فيصل بن الحسين، وأنا اتلقى توجيهات جمال باشا السفاح... قابلت الشريف علي حيدر للمرة الأولى، فوجدته شخصياً شفافاً (نازكاً) لطيفاً للغاية، ولكنه ليس رجل ثورة... ولا هو رجل حرب، لقد عاش علي حيدر في استنبول بترف وفره له السلطان عبد الحميد، مع زوجته الثانية الأيرلندية الأصل، وكان في أيضاً متعصباً للشديد التعصب للقومية التركية، وكان جسوراً وعنيداً في آرائه، ولم يقبل أي رأي من رئيس أركان حربه، وكانت الخلافات تحصل بينه وبين رئيس أركان حربه قذري بك، وكان قذري بك يقضي لي سره، ويعلمني عن جميع القوة العسكرية الموجودة هناك، وأنا بدوري كنت أهيم جدول القوة العمومية بكل مفرداتها، وكنت على اتصال بالشريف فيصل، واعلمه بكل الحركات الحربية، وهذا الذي مكنته من أن يتخطى على القوة النظامية الكبيرة للجيش العثماني، وكان الشريف حسين قد استولى على ينبع البحر ومكة

بدأ فخري باشا بتجهيز قوة رتل خاطفة للهجوم على قوى البدو في "بئر الماشي" و"بئر عباس"، ما بين المدينة وينبع البحر، والهدف من الهجوم قطع خط الرجعة على قوات الأمراء فيصل وزيد، وبدأ الهجوم برتل من فوجين، فتولى فخري باشا القيادة بنفسه، وطبعاً أنا كنت معه... أما القوة الجوية فكانت لا شيء، هنالك أول سرب للطائرات الذي لم يتمكن من التحليق سوى لسفرة ساعة واحدة في الصباح بالقرب من المطار في الخمسين درجة مئوية، وكانت استغرب من شدة تحمل فخري باشا هذا الجو، وكان معنا محمد، وكان يركب على الدلو ويعمل لنا القهوة صباحاً، أنا ورفيقي من دائرة الحركات الركن أمين حيدر، الذي لم يكن معتاداً على شدة الحر، وكنت أحرص على إعطائه القهوة والماء من الطرة، لأني تعلمت الكثير عن حرب البادية تعلمت الكثير عن حرب البادية وممارساتها بحركات الحرب، ومكثنا في بئر الماشي مدة من الزمن لصعوبة التقدم، لأننا كنا في واد، ومحاطين بالثوار العرب من اليمين واليسار. وبعد إتمام تهيئة الرتل للهجوم الصباحي، قرّر فخري باشا الهجوم، ولكن رئيس هذه المخاطرة... ولم يتبع فخري باشا نصائح قيادته، واكتفى أن يقوم

فاضطر السائق للوقوف تجنباً للاصدام فيها، وبعد أن اطمان الجميع وعاد الهسوء إليهم، أعلنت الأوامر باستمرار حركة القطار وكان الذعر بادياً على الشريف علي حيدر وأولاده، طوال فترة الرحلة التي امتدت لأربعة أيام، استقل فخري باشا الشريف علي حيدر استقبالاً رسمياً، وخصص للشريف مقراً لإقامته بإحدى الدور الكبيرة في المدينة المنورة، فطلب الشريف علي حيدر من فخري باشا أن أعين عنده كمرافق، ولكن فخري باشا لم يقبل طلبه هذا، وأرسل له ضابطاً آخر، واحتفظ بي كمرافق له، وضابط ركن عنده في المقر، وهنا يجب علي أن أقر وأن اعترف، بأن الشريف علي حيدر لم يكن متشوقاً لقيام حركة ضد ابن عمه الرجعة على قوى البدو، ولم يقبل القيام بأي حركة من قبل فخري باشا، وفضل البقاء في المدينة المنورة.

عندما انطلاقة أول رصاصات للثورة العربية الكبرى، وبيادية الحركات في أطراف المدينة بالعوالي، انسحب مقر الشريف فيصل إلى مصيق في نفس، وأتمنى أن يقودني أحد للوصول إلى الشريف فيصل بن الحسين، وأنا اتلقى توجيهات جمال باشا السفاح... قابلت الشريف علي حيدر للمرة الأولى، فوجدته شخصياً شفافاً (نازكاً) لطيفاً للغاية، ولكنه ليس رجل ثورة... ولا هو رجل حرب، لقد عاش علي حيدر في استنبول بترف وفره له السلطان عبد الحميد، مع زوجته الثانية الأيرلندية الأصل، وكان في أيضاً متعصباً للشديد التعصب للقومية التركية، وكان جسوراً وعنيداً في آرائه، ولم يقبل أي رأي من رئيس أركان حربه، وكانت الخلافات تحصل بينه وبين رئيس أركان حربه قذري بك، وكان قذري بك يقضي لي سره، ويعلمني عن جميع القوة العسكرية الموجودة هناك، وأنا بدوري كنت أهيم جدول القوة العمومية بكل مفرداتها، وكنت على اتصال بالشريف فيصل، واعلمه بكل الحركات الحربية، وهذا الذي مكنته من أن يتخطى على القوة النظامية الكبيرة للجيش العثماني، وكان الشريف حسين قد استولى على ينبع البحر ومكة

بكرة كانت قد قاطعت القطار، لفترة ساعة واحدة في الصباح بالقرب من المطار في المدينة. وبدأ الهجوم مع اشتداد الحر القاسي، حيث كانت درجة الحرارة حوالي الخمسين درجة مئوية، وكنت استغرب من شدة تحمل فخري باشا هذا الجو، وكان معنا محمد، وكان يركب على الدلو ويعمل لنا القهوة صباحاً، أنا ورفيقي من دائرة الحركات الركن أمين حيدر، الذي لم يكن معتاداً على شدة الحر، وكنت أحرص على إعطائه القهوة والماء من حط، لأنني تعلمت الكثير عن حرب البادية تعلمت الكثير عن حرب البادية وممارساتها بحركات الحرب، ومكثنا في بئر الماشي مدة من الزمن لصعوبة التقدم، لأننا كنا في واد، ومحاطين بالثوار العرب من اليمين واليسار. وبعد إتمام تهيئة الرتل للهجوم الصباحي، قرّر فخري باشا الهجوم، ولكن رئيس هذه المخاطرة... ولم يتبع فخري باشا نصائح قيادته، واكتفى أن يقوم



زيارة إلى مقر ضباط كتيبة الخيالة الثالثة الذين يؤدون التحية للملك فيصل الأول ويظهر خلف الأمير غازي رئيس التشريعات الملكية تحسين قذري